الإنسانية المتحولة وأزمة الإنسان الفائق

Transhumanism and the crisis of the human

هشام معافة*[1]،

[1] جامعة قسنطينة2- عبد الحميد مهري (الجزائر)، hichem.maafa@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال:2022/01./.24 تاريخ القبول: 2022/06/22 تاريخ النشر: 2022/12./20

ملخص:

هدفنا من هذا المقال الكشف عن الأزمة التي أفرزتها فلسفة الإنسانية المتحولة transhumanisme وهيمنة التقنوعلمي les techno- sciences على جميع مظاهر الوجود بما فيها الوجود الإنساني، وما خلفته تطبيقات (NBIC) من إشكالات قيمية axiologique عميقة على الحياة تفصل الإنسان عن أنسيته وتهدد مستقبل الإنسانية واستمراريتها، كما تعلن عن نهاية الأخلاق وأفول القيم، فلم يعد إنسان اليوم في علاقة مباشرة بالعالم وبعده الروحي، وانخرط نتيجة لذلك في أزمة معنى، ومهمة الفلسفة الآن هي بعث أخلاق جديدة معتدلة كبديل عن الأخلاق البراغماتية المغالية التي روج لها أنصار الإنسانية المتحولة les transhumanistes ، والتي تعيد للإنسان توازنه في جميع أبعاده الروحية والمادية.

الكلمات المفتاحية(7كلمات): الإنسانية المتحولة ، الأزمة ، التقنوعلمي ، قيمة ، الأخلاق، أخلاق جديدة، الأخلاق البراغماتية،.

Abstract : Our objective of this article is revealing for the crisis which unleashed by the transhumanism of philosophy and the domination of the techno science on all manifestation of existence including human existence, and what left behind (NBIC) applications of a deep problematic value at life which separate human form his humanity and calm down the humanity's future and its continuity. It further declares of the end of ethics and the values' twilight. Today's human is no longer in a direct relationship with the world and its spiritual dimension. As a result, he engaged into a meaning crisis, and now philosophy's mission is reissued a new mild ethics as an alternative of pragmatic ethics which the proponents of transhumanism promoted to it which restore to human his balance in all his spiritual and material dimensions.

Keywords(5 words**):** transhumanism; crisis; techno science; value

*هشام معافة

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

توطئة (مقدّمة):

احتلت مقولة الأزمة مكانة مركزية في الخطابات المعاصرة، فعصرنا هو بحق عصر الأزمة، وهي أزمة خلفها الاستغراق الكلي للعلم وتطبيقاته التقنية على كل مظاهر الوجود بما فيها الأبعاد القيمية والروحية للإنسان، على نحو لامست، أي الازمة، الإنسانية في جميع أبعادها الانطلوجية والسيكولوجية والايديولوجية والسوسيولوجية. يتخبط إنسان اليوم في العدم والاستلاب واللا معنى والخوف والتوجس من المستقبل، ولعل "هوسر" أدرك هذا الواقع حينما أرجعه في كتابه أزمة العلوم الأوربية إلى هيمنة النزعة الوضعانية التي أحدث شرخاً كبيراً بين الإنسان والعالم، فالعلوم التي لا تعي سوى الواقع لا تفرز إلاَّ أناساً لا يدركون سوى الواقع، والسبب يكمن برأي "هوسرل" في سوء فهم الإنسان للعلم الذي اختزله داخل مجال الواقع بحيث لم يعد يستوعب أبعاده الروحية والفكرية، فصل جعله ينخرط في أزمة معنى، ومهمة الفلسفة أن تعيد للإنسان توازنه الطبيعي والروحي وتعيد إدماجه من جديد داخل عالم المعنى. هذه هي صورة الأزمة التي يعاني منها الإنسان المعاصر والتي تفصله عن أبعاده الروحية والقيمية. ومع انتصار التقنوعلمي NBIC تضاعفت الأزمة؛ إذ لم يتوقف الإنسان عند مجرد السيطرة على العالم الخارجي بل ممارسة التعديل على طبيعته الخاصة متجاوزا حدوده البيولوجية التي أصبحت الآن عائقا أمام تحرره من المرض والشيخوخة والموت. لم يعد إنسان اليوم يهدد الطبيعة الخارجية بما يفرزه من انبعاث وتلوث فرضه اللهث اللا محدود وراء الموارد والطاقة، بل طبيعته الخاصة حتى أضحى يهدد وجوده ليفسح المجال أمام فاعل جديد، أو فاعل فوق إنساني. وصف "لوك فيري" هذا التحول بالثورة، وهي ثورة يقودها اليوم اتجاه عَرَفَ انتشارا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم الإنسانية المتحولة "le Transhumanisme". لقد أضحى الإنسان مع مجيء هذا التيار قادرا على تغيير طبيعته الخاصة متوسلا بما توفره التقنوعلمي من تكنولوجيات التلاعب بالحياة، وعلى حد تعبير "لورون الكسندر" "lourant Alexandre" تحول حلم الإنسانية المتحولة خلال هذا العصر إلى حقيقة طبية" .(Ferry, 2016, p. 07)

هذه في الواقع صورة الأزمة القيمية التي يعيشها الإنسان المعاصر، فالفائدة التي كان يرجوها من التقنو علمي تحولت إلى مضرة، وها هو يعيش الآن في عالم بلا معنى أو وضع حرج وخطر يهدد الإنسان في كينونته، فالتطور التقني الرَّامي إلى الهيمنة على الكيان البيولوجي للإنسان يروم فصل الإنسان عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسية كنتيجة أولى للتحكم التقني. والسؤال الذي يستثار ههنا نصوغه تواليا: هل سيتوجه تحسين الإنسانية إلى الأحسن أم إلى الأسوأ، اعني التشوه والمسخ؟

1: من الإنسان الحكيم إلى الإنسان المتأله، أزمة كينونة:

لم يكن ديكارت أب الحداثة يعي مخرجات إعلانه القاضي بأن الغرض من الفلسفة ليس فهم العالم بل السيطرة عليه، على نحو أفرز هذا الإعلان واقعا مأزوما يحول الإنسان من قيمة القيم إلى وسيلة لغايات أخرى. وما الأزمات التي يواجهها الإنسان المعاصر سوى تجل لأزمة أكثر شمولية وعمقا هي أزمة علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع، وهي علاقة تميزها إرادة سيطرة بما هي أداتية متنامية. بيد انه وبالرغم من قوة الأداة والتقنيات الحديثة نلفي أن المجتمعات قد صارت أكثر هشاشة على نحو انقلب البحث عن الهيمنة التقنية ضد ذاته.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

تحدث "جون نوا هراري" في كتابه "العاقل" "sapiens" (هراري، 2018، صفحة 495) عن ميلاد إنسان جديد أطلق عليه اسم الإنسان المتأله لما اجترحه من قدرات إلهية كالخلق والتدمير، وهو تحول يعبر عن لحظة مفصلية في تطور الإنسانية من عصر إنسان حكيم اقتات لآلاف السنين على ما جادت به الطبيعة عليه حتى أضحى سيدا للكوكب، ثم إلى اله يشارك الآلهة في الخلق. ولئن سادت قوانين التطور في المرحلة الأولى فالثانية هي مرحلة الاختيار، وهي الحقيقة يطلعنا عليها "ماكس مور" - من أشد المدافعين عن هذا التيار- في مقال تحت عنوان "رسالة إلى أمنا الطبيعة" توجه من خلاله إلى الطبيعة برسالة مفتوحة يحاكي نبرة راشد يحادث والديه بكل احترام، مؤكدا في الوقت ذاته على أن الأب وهو هنا التعالي الإلهي غائب، ومقتضاها: لقد سمحتي يا أُمنا الطبيعة بتطور رائع تمكنت بفضله الكائنات أحادية الخلية البدائية من التطور وأضحت هذه الإنسانية التي تتمتع بالذكاء واللغة والفضول والإبداعية التي نعرفها" ثم يعقب كلامه قائلا "إن الوقت قد حان لتحصل الإنسانية على استقلالها، فالتطور الذي أسلفنا ذكره لم يعد في مستوى الآمال والتطلعات التي نرجوها، إن الإنسانية – التي تعي جيدا قدراتها- عاجزة عن منافحة الشيخوخة والألم والمرض وكل أشكال التحديد التي فرضت عليها من طرف طبيعتها البيولوجية.

تبعا لذلك، يعلن "ماكس مور" "Max Mor" باسم الإنسانية الخروج من عصر الطفولة إلى عصر الرشد كعصر للاستقلالية واتخاذ القرار، عصر تكون فيه الإنسانية قادرة على وضع معاييرها وأهدافها الخاصة. وفي الجزء الثاني من الرسالة اهتم بالبحث في التعديلات التي طرأت على الوضع البشري والتي يمكن قراءتها كتلخيص للبرنامج الكلاسيكي للإنسانية المتحولة: وعلى نحو خاص عدم التسامح مع جبروت الشيخوخة والموت وزيادة القدرات الإدراكية والانفعالية، على نحو يعد مشروع الإنسانية المتحولة برأي "ماكس مور" بمثابة قطيعة بين مرحلة قديمة وأخرى جديدة متميزة بانفتاح إمكانات جديدة.

يطرح هذا التحول أزمة جديدة أمام الإنسان، فالاشتطاط في مشاركة الآلهة في الخلق وأداء دورها في هندسة الحياة، ينقلب عليه ويعاقبه بشدة لأنه يسير عكس طبيعة الخلق الإلهي، والشاهد على ذلك اننا نعيش اليوم تحقق نبوءة فرانكشتاين وهي رواية تسرد قصة عالم خلق اصطناعيا كائنا يفقد فيما بعد السيطرة عليه، او صنع مسخا ينبغي تدميره حماية لأنفسنا (هراري، 2018، صفحة 490) . فضلا عن ذلك تسائل هذه الأزمة الإنسان في بعده الأنطلوجي؛ فالإنسان لا يعد اله فقط لأنه اجترح قدرة على الخلق بما مكنته له التقنية بل لأنه يخلق إنسانا جديدا يمتلك قدرات فائقة ذهنية وجسدية كائن جديد يعيش للأبد في سعادة دون مرض او شيخوخة. هذا هو مبتغى الإنسانية الفائقة بما هي فلسفة للإنسان الجديد، وهي حركة –كما يرى "ماكس مور"- ثقافية تروم تحسين الوجود الإنساني واعلائه عبر التوسل بالعلم والتكنولوجيا (NBIC) (النانوتكنولوجيا، والبيوتكنولوجيا والعلوم المعرفية والمعلوماتية). فغرضها اذن تحسين الوجود الإنساني بتمديد الامل في الحياة ليبلغ مئات السنين، وبرأيهم ليس من المعقول أو المستساغ أن نقف في وجه العلم وفتوحات التقنية داخل مجال البيوتكنولوجيا، لما تحققانه من خير للإنسانية في ثورتها ضد الشيخوخة والأمراض الوراثية المستعصية.

يجسد مشروع الإنسانية المتحولة من هذا المنظور أهداف النزعة الانسانوية والتنوير وهي الدفاع عن حقوق كل فرد في حرية التصرف في جسده بغية تحسينه، فلكل فرد أن يستفيد من الاستعمال العقلاني لبيوتكنولوجيات التحسين (Hottois., 2015, p. 228) ، والتعالي اذاك على أشكال الحالية للوجود الإنساني، لجهة أن فالمرحلة القادمة من

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

التاريخ لا تقتصر على التحولات التقنية فحسب بل تحولات جذرية في الوعي والهوية البشرية، وقد تكون هذه جوهرية إلى درجة أنها تثير التساؤلات حول مصطلح بشري ذاته (هراري، 2018، صفحة 192) .

يعد البحث عن الخلود وتمديد الحياة الموضوعة الرئيسة في فلسفة الإنسانية المتحولة، اذ لم يعد الموت برأي "بوستروم" مشكلة أنطولوجية إنما هي بالأحرى مشكلة تكنولوجية بسيطة تحتاج إلى حل، ولتحقيق هذا المبتغى يسلك دعاة الإنسانية المتحولة سبيلين: يعتمد الأول على الذكاء الاصطناعي أو التفرد أما الثاني فيسلك الطريق البيولوجي. وفيما يلي سنفصل في كل سبيل على حدا: يقوم الأول على ابتكار روبوتات ذات وعي وحساسية تحل محل الكائن الإنساني وتستبدله، وعبر تحميل الروح داخل هذه الروبوتات الواعية يحقق الإنسان حلمه في الخلود. خلافا لذلك يتوسل الطريق البيولوجي بما وصلت إليه البيوتكنولوجيا وعلم الوراثة والنانوتكنولوجيا وعلم الأعصاب لتمديد الحياة (Hottois., 2015, p. 328) . من رواد هذا الاتجاه "أوبري دو غاي" ""Aubry De Gey مختص في بيولوجيا الشيخوخة bio gérontologie أسس مشروعا تحت اسم SENS " "استراتيجيات هندسة الشيخوخة" يهدف من ورائه الى إصلاح الأنسجة التي أفسدتها الشيخوخة لتمديد الأمل في الحياة. يعتقد "غاي" أن التقدم في فهم والسيطرة التقنو علمية على الشيخوخة يجعلنا نقول أن الإنسان الذي سيعيش 1000 سنة قد ولد الآن.

في الواقع، لا وجود للحظتنا الراهنة أي تقدم علمي فعلي في هذا المجال، ومع ذلك ثمة الكثير من البحوث التي أحرزت تقدما هائلا مثل استخدام الخلايا الجذعية والتهجين والطب الترميمي الذي ربما قد يتيح يوما ما ترميم الأعضاء المتوقفة أو الهرمة(Hottois., 2015, p. 329) . فضلا عن أن البحث حول الخلايا السرطانية، التي تقتلنا، وهنا المفارقة، لأنها لا تموت، يفتح هو أيضا منظوريات للسيطرة على الزمن والكرونوبيولوجيا.

أضحت كل هاته المشكلات التي أفرزها منطق الإنسانية المتحولة تطرح بأكثر جدية، على نحو خاص في مواجهة البيوتكنولوجيا التي غيرت ولا تزال حياة الإنسانية. هذه هي صورة الأزمة القيمية التي خلفتها هاته المنظورية، وسنحاول فيما يل رصد كل أبعادها.

2: أزمة الطبيعة الإنسانية:

كان "فرنسيس فوكوياما" من الفلاسفة الذين استبصروا هذه الأزمة التي قاد إليها التقنوعلمي، فكل رغبة في تعديل الطبيعة الإنسانية هي خطوة جريئة نحو تهديم الأخلاق الكونية (Ferry, 2016, pp. 104-105) ، لجهة أن هذه الأخلاق تنبني –برأيه- على احترام السمات الطبيعية المشتركة بين الإنسانية والحفاظ عليها. وعدم احترامها أو تعديلها يعني ببساطة تهديم الأسس الطبيعية للأخلاق. لعلنا نفهم السب الذي دفع "فوانسيس فوكوياما" إلى اعتبار كل فعل يروم تعديل الهبات البيولوجية للأفراد على أنه ايذانا بنهاية الإنسان، فهي تمثل تهديدا للنوع الإنساني كنوع أخلاقي ينبغي حمايته من طرف القوانين الإنسانية. أما المخاطرة الكبرى كما يرى "لوك فيري" في كتابه "ثورة الإنسانية الفائقة" لا تهدم البيوتكنولوجيا أسس الأخلاق فحسب بل تفتح الطريق -من جديد- إلى تحسن النسل وتعطيه مشروعية جديد. أي تحسين النسل الـ"حر"، وهو بالرغم من أنه مختلف برأي "فوكياما" من زاويتين رئيستين عن تحسن النسل القديم، والذي كانت النازية نموذجه بامتياز: فقد كان تحسين نسل مدمر ترعاه الدولة وتدعمه، أما تحسين النسل الذي تجيزه التكنولوجيات الجديدة لن يكون مؤسساتيا إنما يقرره الأفراد والعائلات بكل حرية. وبرأي "فوكوياما" يكمن الخطر في أن الوالدين يستسلمان إلى أنماط محددة (فجيل ما يريد أطفالا بيضاً، وآخر يريدهم

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

سمرا، هذا يريدهم لطفاء وآخر يريدهم مقاتلين الخ) على نحو يمكن للأطفال فيما بعد معاتبتهم على خياراتهم . (Ferry, 2016, p. 106)

يشرح "لوك فيري" حجة "فرانسيس فوكياما"بالحديث عن ظاهرة جديدة وهي التدخين، لا أحد يشكك كما يقول في صواب موقف العلم من التدخين إذا ما أقرَّ خطورته بالنسبة للصحة، لكن لا يمكنه ولن يتمكن أبدا من الإقرار إلى أيَّة درجة لا ينبغي التدخين، لأننا أمام واجب أخلاقي، فالتدخين غلطة أخلاقية: إنه مسألة خيار فردي خصوصا حينما لا نُعرِّض صحة الآخرين للخطر ونكون قادرين-في الوقت نفسه- على تحمل مسؤولية أفعالنا من الناحية المالية. في مقابل هاته الحجة، يميل "فوكوياما" إلى تأصيل الغايات الأخلاقية في الطبيعة (Besnier, 2009, p. 29) . ونلخص حجته على النَّحو التالي: من الواضح أن الصلة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون تكمن، أولا وقبل كل شيء، في إرادة المرء وقصده، فمثلا إذا تبيَّنت خطورة التدخين لأنني لا أريد أن أموت، فيصير عدم التدخين شكلاً من الأمر أين تتجسَّد، مع ذلك، الغايات الأخلاقية، وهذا رأي "فوكوياما"، في الطبيعة.

ينافح "فوكوياما" إذن عن نظرة مختلفة تماما إلى الطبيعة، إن الطبيعة جوهر هو، كما لدى اليونان القدماء، كسموس متناغم، عادل وجميل وخير، من مصلحة الناس الاستلهام منه. تأخذ هاته الأطروحة في الأخلاقيات التطورية الموروثة عن داروين صورة متطرفة: تتأثل على فكرة أن النوع الإنساني يختار في النهاية الأخلاق المؤثرة للغير. فالتطور الطبيعي سيسمح للإنسانية بفهم أن مصلحتها، في النهاية، تكمن في التعاون لا الصراع، في السلم لا في الحرب، في التآزر والتعاون لا في الفردية والانغلاق على الذات. فحسب "روز" "Ruse" إن الأخلاق، أي معنى الخير والشر والواجب هي ثمرة للتطور"، فالإنسانية ستختار في النهاية، حسب النزعة الداروينية، تبعا لصدف تحولاتها الجينية المتنوعة شيئا ما شبيها بنظرية العدالة عند "راولز" "Rawls"، أخلاق إنصاف متمركزة حول احترام الآخر وحقوق الإنسان. يقترح "روز" التمييز بين نوعين من الغيرية، غيرية بيولوجية وغيرية أخلاقية. الأولى تسود عالم الحيوان وليست في حاجة إلى تدخل الضمير: انه حاضر عند أضأل المخلوقات كالنملة التي تعين زميلاتها في حمل حشرة ميتة، أو النحلة التي تمنح جزءا من عسلها لتغذية اليرقات. في المقابل، يقول "روز"، إن الغيرية في حاجة إلى وعي القيم التي ينبغي العمل بها عند الإخلاص إلى الغير. لكن هنا تحديدا، وهذا موقف "لوك فيري"، نصادف الاستمرارية مع الطبيعة الأخلاقية الجوهرية، لجهة أن هذين النوعين من الغيرية شيء واحد، فالثاني الخاص بالناس الذي أضحى إنسانويا، ليس إلا محلة لتطور طبيعي، لقد اختارت الثانية هذا النوع من الأخلاق لأنه كان مفضلا أكثر من الأنواع الأخرى لبقاء الإنسانية التي ترغب في الإبقاء على استمرار أفراده قدر الإمكان.

إلى جانب "فرانسيس فوكوياما" يقف الفيلسوف الامريكي "ميشال صندل" "Michel Sandel". وهو من أشد المناوئين للإنسانية المتحولة، أبدى في متن كتابه بـ"الكمال أمام المحاكمة: الأخلاق في عصر الهندسة الوراثية" " la perfection en procès : l'éthique a l'âge de l'ingénierie génétique"، اعتراضه على الأهداف الرئيسة للإنسانية المتحولة (فيري، 2018، صفحة 191) . ما جلب انتباهه أكثر مسألة تحسين النسل Eugénisme، كان ينافح ضد التَّمييز بين تحسين النَّسل الحرّ الذي يعتبر ايجابيا، وهو نوع التحسين الذي تدافع عنه الإنسانية المتحولة، وآخر هو تحسين النَّسل المؤسساتي étatique (النازي) nazi المبيد Exterminateur، ووجه الاعتراض مهما كان مصدر الاختيار سواء كانت دولة شمولية أو فرد، فالأمر سيان، ففي الحالتين تمَّ تشييء الكائن

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

الإنساني وخصوصا الطفل الذي سيولد، لقد أضحى سلعة أو موضوعا مُشَكَّل من طرف إرادة الوالدين. وبصحبته، أي "صندل"، نقف على حقيقة أن مع الإنسانية المتحولة ننتقل من أخلاق العرفان لهباتنا إلى أخلاق السَّيطرة المطلقة على العالم الخارجي بل والذات من طرف الإنسان البروميتي. تسرق الإرادة البروميتية بسلوكها ثلاث قيم أخلاقية أساسية لتنظيم الحياة المشتركة: هي "التواضع" "L'humilité" و"البراءة" "l'innocence" (التي تزول أمام توسيع فاحش لمسؤولياتنا) و"التضامن" "solidarité". وهذه النقاط الثلاث ضرورية يستند إليها نقد سندل لغطرسة المشروع البروميتي المتمثل في صناعة كائنات إنسانية متحولة أو ما بعد إنسانية، أولا: "التواضع": فبمجرد أننا نقلق على أولادنا ولا يمكننا إلى اللحظة اختيار نوع الأطفال الذين نريدهم، فإننا نُعلِّم الوالدين فن الانفتاح على ما هو غير مرغوب ضرورة. هذه القابلية للانفتاح تستحق أن نشجعها ليس في إطار العائلة فحسب ولكن في العالم الخارجي ككل. فهي تدعونا إلى قبول ما هو غير منتظر وأن نحيا مع نقاوة الأصوات، ومقاومة كل معقولية تروم السَّيطرة على كل شيء. إن عالما شبيها بعالم "مرحبا بكم في غاتاسا" "gattaca a bienvenue"، وهو عالم أين يملك الأبوان القدرة على اختيار جنس والخصائص الجينية لأبنائهم، سيكون عالما غير مرحب به في مقابل اللا متوقع واللا مرغوب" (Ferry, 2016, p. 122) . وبعبارة أخرى إن هذا الاضطراب الملازم لإرادة خلق كل شيء والسَّيطرة على الكل تجعلنا نفقد تواضعنا ومن ثم امتنانا لما منح لنا فضلا عن انفتاح أفكارنا وسلوكنا نحو قبول ما هو مختلف غير مرغوب وغير متوقع.

أما البراءة فترتبط بمسؤولية تزداد على شاكلة دالة متغيرة ترتبط باختيار الخصائص الفيزيائية والذهنية لأبنائنا، حتى يكونوا قياسا إلى غيرهم الذين اختار أولياؤهم تحسين قدراتهم المستقبلية موضع اعتبار وحظوة. بل إن المشكلة تُطرح على نحو أعمق، ماذا سيقول الأطفال الذين يولدون عميانا أو صما لآبائهم؟ هل سيحاكمونهم بدافع أنهم لم يجهدوا أنفسهم للقيام بالتحسين الجيني الذي كان بإمكانهم القيام به، في الواقع يعتقد "سندل" أن مثل هذا النوع من المقاربة غير عادل بالرغم من أن البعض الآخر يجدونه أمراً مشروعا؟

نصل الآن إلى التضامن، والمشكلة التي تطرحها الغاية منه مقلقة هي الأخرى وهي مرتبطة هنا أيضا بالبروميثية، بإرادة السيطرة التي تأخذ شيئا فشيئا مكان الانفتاح المتواضع والاغتراب بهباتنا الممنوحة لنا من طرف الطبيعة أو العناية الإلهية. وليدعم حجته لجأ "صندل" إلى مثال شركات التأمين: كوننا نجهل المخاطر التي سنواجهها في المستقبل وتمس حياتنا، نحن كما الآخرين، نقبل جميعا دفع مبلغ تأمين مساو لما يدفعه غيرنا وينتفعون بها أكثر منَّا (أو العكس). نحن نجهل المستقبل ولا نحيط به علما لكن الخطر هو ذاته بالنسبة للجميع، لذا نقبل مخاطرة أخرى وهي التأمين إذا لزم من أجل لا شيء. ولكن بمجرد أننا مسؤولون عما سيحدث لنا، مسؤولون عن عيوبنا وأمراضنا في المستقبل أو استئصالها، سيعوض التضامن بمسؤولية فردية أنانية.

زيادة على ذلك، أقام "صندل" نقده للإنسانية المتحولة داخل إطار اجتماعي وهو ما يعكس صورة الأزمة الاجتماعية والسياسية التي يخلفها الإصرار على هذا المنطق، ففي مواجهة قوى الإنسان فوق الإنسانية ستكون العائلات بعيدة جداً عن العدالة والمساواة، تكلف الهندسة الوراثية الكثير، والتفاوت في الثروة سيخلف تفاوتا اجتماعيا، لأنها ستصير بكل بساطة مسألة موت أو حياة. والأرجح إن دعاة الإنسانية المتحولة واعون بالمشكلة لأنهم يذهبون إلى الاعتراف بضرورة تدخل الدولة على نطاق ضيق حتى تتيح للجميع الولوج إلى ما بعد الإنسانية كما قال مثلا "بوستروم":

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

"ينبغي تجنب ظهور طبقة مفضلة من المجتمع تُحسِّن ذاتها وذريتها" بحيث نشهد في النهاية ظهور نوعين بشريين ليس لديهما الكثير من الأمور المشتركة عدا تاريخهما الذي يتقاسمانه. سيعيش أصحاب الامتياز لوقت طويل بصحة جيدة، ويتمتعون بالذكاء الخارق والجمال الفائق دون تشوهات، أما غير المفضلين سيبقون في المستوى الحالي على نحو يرفع عنهم كل احترام وتقدير للذات ويدفعهم نحو الغيرة. وهذا ما قاد "بوستروم" إلى التفكير في معايير سياسية تسمح بتقليص اللا مساواة (Ferry, 2016, pp. 125-126) .

3: نحو ايتيقا جديدة، أو المخرج من الأزمة:

قلنا في مطلع هذا البحث أن أزمة الإنسان المعاصر هي أزمة قيمية فصلت الإنسان عن عالمه على نحو يعيش الآن في عالم بلا معنى مستلب ومغترب عن بعده الروحي والفكري، وهى أزمة نتجت عن تضخيم اعتبار التقنية لتشمل كل أبعاد الوجود بما فيها البعد الروحي، والمخرج من هاته الأزمة يقتضي التأثيل لأخلاق جديدة يطلق عليها الآن اسم أخلاق الخلق الإلهي "démiurgique éthique" أو ايتيقا الإنسان الصانع أو المتشبه بالآلهة. وهذا المصطلح جديد نسبياً على الأخلاق المعاصرة وأوَّل من استخدمها هو البيولوجي وعالم الأخلاق "ألكس مورون" " Alex Mauron" ليُعبِّر عن موقف خاص تجاه تدخل الإنسان على نطاق واسع في النظام الطبيعي، وهو تدخل يدعوه بالخلق الإلهي، فما ترومه أخلاق الخلق الإلهي تأطير هذه التطورات بمعايير أخلاقية براغماتية.

والإله الخالق هو بهذا المعنى-كما صورته محاورة الطيماوسTimée لأفلاطون- حِرَفِيٌ أو صانع كوني في أصل نظام العالم،إله يملك القدرة على تسيير الواقع وليس خالقاً له. وهي ذات النظرة التي تبناها الغنوصيونGnostique، أي أن الإنسان الصانع أو الإله الخالق قد منحت له قدرة هائلة على الخلق ولكنه قد يسيء التصرف. فالطبيعة، بنظرهم، من إبداع وخلق إله راع لكنه أخرق يُسيء التَّصرف إلى درجة أن بعض الغنوصيين يشبهونه بالشيطان. وإذاك استبدل الغنوصيون فكرة الإله الكامل والمتعالي بإله صانع، أوجد عالمنا الناقص والمثقل بالمعاناة. (Hottois., 2015, p. 35) .

لقد مَنَحَتْ التطورات التي حققتها العلوم والتقنيات للإنسان أو الإله الصانع مجالا للفعل يتسع يوما بعد يوم، لكنه في المقابل يضعه أمام مسؤوليات أخلاقية تزداد ثقلا.

خاتمة:

لئن كان تاريخ الإنسانية هو تاريخ الأزمات بما هي الدافع إلى التقدم أو التطور على نحو تتجلي الأزمة في صورة التوسط في الجدل الهيجلي الذي يدخل على المباشرة ويضمن استمرارية الوجود من خلال العدم والصيرورة، كذلك الأزمة، بيد أن الأزمة التي يعيشها الإنسان المعاصر أكثر عمقا وتأثيرا في الوجود الإنساني. فتضخيم دور التقنية والاشتطاط في استخدامها قاد إلى تشييء الإنسان وانفصاله عن أبعاده القيمية والروحية المميزة له، وهو الآن مجرد رقم ضمن معادلة مادية أو عالم بلا معنى، ومهمة الفلسفة أن تحيي هذا البعد فيه وتعيد إرساء روابط متينة بينه وبين العالم، فإنسان اليوم يعيش أزمة قيمية وفي حاجة إلى ايتيقا جديدة ترسم حدود الفعل الإنساني وتمنعه من أن يهدم العالم ويعدم ذاته.

المراجع:

باللغة العربية:

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

لوك فيري. (2018). ثورة الانسانية الفائقة. (ترجمة هشام معافة ورابح يونس، المترجمون) *مجلة دراسات فلسفية* (10).

يوهان نوح هراري. (2018). *العاقل، تاريخ مختصر للنوع البشري* (المجلد ط1). (دار منجول للنشر، المحرر، و حسين العبري وصالح بن علي الفلاحي، المترجمون)

باللغة الفرنسية:

Besnier, J. M. (2009). *Demain les posthumains, le future a-t-il encore besoin de nous ?* Hachette Littératures.

Ferry, L. (2016). *la révolution transhumaniste ;.* Paris: Editions Plon.

Hottois., G. (2015). *Encyclopédie du trans/ posthumanisme, L'humain et ses préfixes.* VRIN.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014